مدينة تلمسان: المكان والمكانة
- دراسة تاريخية –

أ.هـــــدية صارة
باحثة دائمة بالمركز الوطني للبحث
في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية
– جامعة وهران –

الملخص:

مكان تلمسان الجاذب، والمتمثل في الموقع الاستراتيجي، جعل منها محط أنظار الغزاة والفاتحين والمستعمرين في جعلها مركز انطلاقهم للسيطرة على ما دونها، وفي هذا المقال سنكشف عن تعدد أسماء المدينة بتعدد المتغلبين، وكيف تم ذلك كله؟

الكلمات المفتاحية: تلمسان.بوماريا، منيارا، قالة، أغادير، تاقرارت.

Summary:

The attractive place of Tlemcen, which is represented in the strategic location, made it the focus of attention of the invaders, conquerors and colonists in making it their center of launch to control what is below it, and in this article we will reveal the multiplicity of the city's names with the multiplicity of the conquerors, and how was all that?

Keywords: Tlemcen, Pomarya, Miniara, Kala, Aghadir, Tagarrat.

إنّ كل الفترات السابقة التي مرّ بها تاريخ تلمسان أكدت شخصيتها المتميزة سواءً كانت تاريخية وجغرافية، أو اقتصادية وعمرانية، أو فكرية وفنية، حيث تعاقب على مدينة تلمسان مختلف الشعوب منذ نشأتها، كونها تُعدّ من أقدم مدن المغرب الأوسط.

فقد لَفَتَ "تلمسان" بموقعها الجغرافي معظم الشعوب المحاربة لتكون منطلقاً لجيوشهم الساعية إلى السيطرة، فالرومان جعلوا منها قاعدة لجيوشهم.كما تميزت هذه المنطقة بموقع تقاطع الطريقين التجاريين الهامين في بلاد المغرب وهما: الطريق الرابط بين الشرق والغرب، المار بوادي شلف إلى تلمسان ومنها إلى فاس فسجلماسة والطريق الذي يصل الشمال بالجنوب، مروراً بمدينة فجيج و توات إلى بلاد السودان[1].

ولا جدال في أنّ خصوبة تربة هذه السهول، ووفرة إنتاجها الزراعي كانت من الأسباب القوية التي دفعت بالرومان إلى التوغل باحتلالهم تلك المنطقة، فلم يكونوا يقيمون حدوداً ثابتة لجيوشهم سوى بجوار مناطق الإنتاج الزراعي، كي يقوم الجنود بإنتاج الغذاء بأنفسهم أو تحصيله في شكل مغارم من الفلاحين الأهالي بالإقليم. وهنا اتصفت معسكرات الجيش بالحركية والسعي لقيام مجتمع زراعي قربها، قوامه الجنود المسرحون وعائلاتهم والمنجذبون نحوهم من أهل البلاد الراغبين في العمل ثم الإقامة في شكل أحياء هامشية، ما تلبث أن تصبح مدناً[2]. كل هذا جعلهم يمكثون في بلاد البربر، فما استفادوا منهم لا قليلاً ولا كثيراً، استعمروا البلاد لفائدتهم الخاصة وبنوا سعادتهم على شقاء البربر[3].

ومن مظاهر الوجود الروماني بهذه المنطقة وجود إقليم تلمسان، ضمن الليمس الموريتاني، أي تلك المنطقة الممتدة على السفوح الشمالية لجبال تلمسان، وذلك انطلاقاً من خط تقسيم المياه بين حوضي وادي يسر ووادي مكرّة شرقاً إلى أعالي وادي تافنة غرباً وهو امتداد يشمل مركزين هامين هما ألتافا (**Altava**) (أولاد ميمون حالياً) وبوماريا (**Pomaria**)،(تلمسان حاليا)، أسماء لاتينية أطلقها الرومان عليهما، على اعتبار أنهما أنموذجان رئيسيان لإقليم الليمس في هذا الجزء الأقصى من امتداده ثم إنهما ظهرا في إطار التحصينات العسكرية واستمرا إلى الفتح الإسلامي فتراكمت بها معطيات توثيقية أكثر غنىً من غيرها[4]. وفيما يلي نستعرض أهم الأسماء التي نعتت بها مدينة تلمسان وهي:

أولاً: الأسماء اللاتينية:

1- Pomaria (بوماريا):

لم تكن تلمسان في عصر استيلاء الدولة الرومانية على الشّمال الإفريقي – أي ابتداءً من القرن الثالث للميلاد– إلاَّ مركزاً حربياً يحمل اسم "بوماريا"، ولا نعرف تاريخ المركز بالضبط لأنَّ الرومان لم يتركوا به آثاراً ذات أهمية يعول عليها المؤرخون والباحثون[5].

فطالما بحثنا عن اسم هذه المدينة في العصور القديمة فلم تفدنا به كتب التاريخ، ولم يصلنا إلاَّ اسمها الروماني "بوماريا"[6] الذي كان الرومان يطلقونه أثناء تملكهم لبلاد المغرب على المركز الحربي الذي أنشأوه قرب تلمسان[7]، إلاَّ أن هذا الاسم لا يعني أنّ المدينة تأسيس روماني، فلا شك أنها أقدم من وجود الرومان في تلك الناحية من البلاد، ولا شك أنها كانت تحمل اسماً بربرياً آخر، لأنّ موقعها الطبيعي والجغرافي والاستراتيجي الفريد، جعل منها أرضاً أهلة بالسكان، فلا يمكن إذن أنْ تبقى بدون اسم، ولعلّ اسم بوماريا ما هو إلاَّ ترجمة للاسم البربري القديم[8].

"فقد عرفت هذه المنطقة الاستقرار البشري منذ آلاف السنين، ويتضح ذلك من خلال الحفريات والأبحاث التي أجريت عليها من قبل بعض الباحثين الغربيين على وجه الخصوص الذين عثروا على بقايا أثرية، تعود إلى العصور الحجرية أو فجر الحضارة الأولى لإنسان هذه المنطقة"[9].

وفيما يخص سبب التسمية فـ"**Pomaria**" أو بلفظ أصح "**Pomarium**" تعني البساتين[10]، و"**um**" باللغة اللاتينية تمثل أداة التعريف في اللغة العربية[11]، وليس في هذا الإطلاق من مبالغة، لما اشتملت عليه هي ووجهاتها من الجنات و البساتين والعيون والأنهار[12].

كما أنّ وصف "أحمد توفيق المدني" لهذا الموقع أكد أنَّ الرومان لم يسمّ ذلك البلد "بوماريا" عبثاً، فهي "تقع في الإقليم الغربي من أرض الجزائر الذي اصطفته الطبيعة لتبرز جمالها لمن يهواها ويقيم في حضنها، وتقعد في سفح جبل يحفظها من الجنوب، عروساً فوق منصة أو ملكاً على رأس تاجه، ويطل منها على سهول خضراء واسعة الأرجاء تحدها سلسلة من التلال قليلة الارتفاع لا تصد هواء البحر البليل عن الانتشار في ذلك الإقليم، فيخفف من وطأة الحرارة في الصيف و يجود

عليه في الفصول الأخرى بسحوب ممطرة تروي الأرض فتفيض العيون وتتدفق الغدران وتكثر الأعشاب وتزدهر البساتين"[13].

ووصفها جيلالي صاري" بمدينة البساتين"[14]، أما جورج مارسي فقد وصفها "بمدينة التفاح"[15]. وشيدت "بوماريا" في المجرى المتواضع، الذي تحوله الأمطار أو ذوبان الثلوج إلى سيل (وادي متشكانا) الذي يجري في قعر الأخدود والذي يحاذي جنوباً درج النجد[16].

ومن الأسباب التي جعلت المؤرخين يعتقدون أنّ موقع بوماريا الروماني هو نفسه موقع تلمسان، هو أحد الكتابات التي وجدها ماك كارتي (**Mac Carty**) منقوشة على الأحجار:

DEO INVICTO
AVLISVAE
ALAE EXPL .PO
MAR. GORDIA
NAE ET PROC.
AUG. N

ومن خلال هذه الكتابة استنتج ماك كارتي أنّ هذه المنطقة كانت تحمل أثناء سلطة جورديان الأول «**Gordien Ier** » في القرن الثالث، اسم **Pomaria**، أما ما أثبت هذا بشكل قاطع، فأحد المعالم الميلية الكبيرة المكتشفة التي عثر عليها الباحثون أثناء التنقيب في منطقة لالا مغنية، في خمسة وأربعين وثمانمائة وألف (**1845**) مكتوبة بحروف لاتينية:

IMP.CAES"
M.AVREL.
SEVERVS
PIVS FELIX
AVG.MILI
ARIA POSV
PER. P. FI.
CLEMEN
PROC. S.
AN SYR POMAR
M. P. XXVIIII
SIG. M. P. XXXVI

وترجمتها: وضع الإمبراطور سيزار ماركوس أرليوس سفيريوس، الورع، السعيد، المهيب، هذه النصب العسكرية، بعناية وليه كليمانت (clément) من سير إلى بوماريا 22,000 خطوة ومن سير إلى سيڤا، 36,000 خطوة[17].

المسافات التي دونت على هذا المعلم تُعدّ مضبوطة جدّاً لأنَّ 22,000 الرومانية تعادل 42,949 متر، وقد وجد قائد هندسة الخرائط اعتماداً على التثليث بين مركز بوماريا (الجهة الشرقية من منطقة تلمسان "أڤادير") ومغنية، 40,410 متر، والفرق بين 42,949 متر و40,410 متر يمثل اعوجاجات الطريق، ففي الواقع، الطريق المؤدي من Pomaria إلى Sour (مغنية) عبوراً على مرتفعات بني مستار كانت منعطفة جدّاً[18].

ومن بين البراهين التي أثبتت الوجود الروماني، دعائم "باب أڤادير" التي هي من أحجار رومانية والشيء نفسه بالنسبة للمئذنة الكبيرة[19]. كما استطاع الباحثون أنْ يقرؤا بدقة حدود بوماريا التي وجدوها مكتوبة فوق الأرض، والتي حُددت بمسافة تقدر بستة عشر (16) هكتار[20].

2- Mniara (منيارا):

أما موقع Mniaria أو Mniara التي وردت عن بطليموس (Ptolémée) لم تكن إلاَّ سوء قراءة ل Pomaria [21].

وإذا أردنا أن نعلم كيف توصل المترجمون إلى اسم Pomaria نجد أنَّ حرف « pi» يحتمل أن يقرأ «M »، وحرف« o» ملحق بحرف «m » من الممكن أن يقرأ« ni»، لهذا Pomaria أصبحت Mniaria ولكن بمجرد أن صُحح التغيير، استمرت التسمية على هذا الشكل[22].

أما أبي بارجيس (Abbé Barges) فيرى أن Pomaria التي تحولت عند بطليموس إلى منيارا، ليست سوى اسم آخر أطلقه الرومان على هذه المستعمرة الواقعة في منطقة خصبة، على غرار ما يقع لبعض المدن الإيطالية التي اتخذت أسماءها من أوصاف لها[23].

3 Kala (قالة):

كما مُنح لهذه المنطقة اسم Kala لأنطونين (Antonin)[24]، فمن المحتمل أن يكون اسمKala اسماً محلياً، وPomaria اسم لاتيني أساساً، مستعمل من قِبَل السلطات والمستوطنين الرومان. لكن يبدو أنَّ الاسم الأول أي Kala معروف أكثر لدى سكان المدينة[25].

ولكن يؤكد ماك كارتي أن هذه المقاربة لم يجدها إلاَّ في بعض المخطوطات ولا دليل يثبت إيجابيتها[26].

ثانياً– الأسماء البربرية والعربية:

الجنس البربري هو العنصر الذي عَرَف شمال إفريقيا، فالبربر بصفة تاريخية هم أول سكان هذه الأقطار[27]، وبطبيعة الحال كان تمركزهم في هذه المنطقة وضواحيها، وقد غرسوا فيها أسماء بربرية إلى أنْ أتت المواقعية العربية وحولت معظم الأسماء البربرية إلى أسماء عربية وغطت مساحة كبيرة[28]. حيث خرج العرب للفتوحات الإسلامية واصطبغوا بصبغة القرآن الكريم، لإنقاذ البشر من طغيان دولة الأكاسرة، واستبداد دولة الروم، واضطهاد سلطة بيزنطة[29]. وأول من وطئت قدماه تلمسان من العرب الفاتحين هو "أبو المهاجر دينار" مولى مسلمة بن مخلد الأنصاري، ولي الخليفة معاوية على مصر وإفريقية حوالي عام (675م) 55هـ[30]. ومنذ ذلك الحين، توالت الحضارات العربية على منطقة تلمسان، وبرزت الأسماء العربية.

وقد جَمَعْت هنا ما بين المعنى البربري والمعنى العربي لكثرة الافتراضات حول التّسميات بين اللغتين:

1– أقادير:

هو الخندق الطبيعي الذي يتسم بالمَجْرى المتواضع، الذي تحوله الأمطار وذوبان الثلوج إلى سيل (وادي متشكانا)، والذي يجري في قعر الأخدود ويحاذي جنوباً درج النجد، والمنحدر المشرف من علو خمسة عشر مترا شمالاً خلقا موقعاً مختاراً لحصن أسماه البربر أغادير[31]. وقد وقع اختلاف حول تأسيسها فقد تكون المدينة المحلية الصغيرة التي احتلها الرومان، وبنوا على أنقاضها "بوماريا"، وبعد الانحطاط الروماني استمر البربر على العيش في بوماريا وأطلقوا عليها اسم

أڤادير[32]؛ أي أنها تكون أقدم في النشأة والتأسيس، لأن سكان هذه المنطقة عرفوا الاستقرار البشري فيها قبل مجيء الرومان، ربما اختطها "بنو يفرن" وأقاموا مدينة صغيرة. فقد ذهب أحد الدارسين إلى أنّ المؤسسين الحقيقيين لأڤادير هم بنو يفرن الزناتيون[33]، ويرى آخرُ أنّ المولى إدريس الأكبر هو من أسس هذه القرية على أنقاض معسكر روماني[34].

كما أشارت النّصوص التاريخية إلى أنها بنيت قبل الإسلام، وأنّ وجودها كان قبل المرحلة الرومانية، وتُعدّ أقدم من بوماريا وأشارت بعض النصوص إلى تقدم نشأتها وأزليتها إلى عهد النبي موسى عليه السلام، أي إلى الألف الثانية قبل الميلاد، فضلاً عن الوثائق التي تشير إلى أن تأسيسها كان قبل ظهور الإسلام[35].

فلا نعلم على وجه التحديد إلى أي أمير وإلى أي عهد يعود تأسيس أڤادير، هل هي تأسيس روماني كما يعتقد أبي بارجيس(**Abbé Barges**)؟ أم هل تعود إلى البربر قبل مجيء الرومان؟ أم تعود إليهم لّما استتب الأمر لهم بعد الانحطاط الروماني؟ أم هل أسسها البربر لمقاومة غزو العرب (عقبة بن نافع القرن السابع)؟ أم هل هو تأسيس بأمر من أبي قرة الملك الذي اتخذ في القرن الثامن أڤادير عاصمة له؟ ومع غياب المصادر لا نستطيع أن نحكم[36]. فنحن غير متأكدين من الترتيب الزمني الذي مرت به المنطقة، لأنّ الأثريين لم يتوصلوا إلى اكتشاف نقوش أسماء أخرى قبل اسم بوماريا ولهذا، فقد ظل الاسم الروماني، يُعدّ أقدم من غيره، عند كثير من الباحثين[37].

وقد ورد لفظ أڤادير عند "ألفريد بل" فهو يرى أنّ اللفظ فينيقي أساساً، وانتقل إلى البربرية، وبلا شك قبل الوجود الروماني. وأن أڤادير ترجع إلى الكلمة الفينيقية "**cadix**" والتي أصبحت كلمة بربرية وجمعها لڤودار أو إڤودار وتعني جرفاً وهذه التسمية تناسب موقع أڤادير[38].

أما محمد بن عمرو الطمار يقول" إنّ أڤادير ما يعادل العبارتين العربيتين: جدار قديم، ومدينة محصنة"[39]، كما وردت عند البعض أنها لفظة زناتية معناها الصخرة ذات الانحدار الوعر وهو اسم يطابق المسمى لإفراط علوها من جهة الشمال[40]، أو تعني منحدراً صخريا، وتعني عند آخرين الحصن، وهذا ما يوافق

تماماً طبيعة الهضبة حيث تقع المنطقة[41].وقد وقع إخلاف بسيط في كتابة اللفظ عند الجغرافيين والمؤرخين قد يكون بسبب فقد الجيم البدوية G من الهجاء العربي إذا افترضنا أن أڤادير هو النطق الصحيح، وكتبت الكلمة مرة بقاف (أقادير)، وذلك إذا افترضنا أن هذا هو اللفظ الصحيح بوصف القاف صوتاً شديداً مهموساً، قد تطرأ عليه العديد من التحولات في اللهجات الدارجة وظاهرة تطور هذا الصوت قد تنشأ بانتقال مخرج القاف إلى الأمام، فنجد أن أقرب المخارج لها هو مخرج الجيم القاهرية والكاف، فلا غرابة أن تتطور القاف إلى أحدهما وينشأ عن ذلك "أڤادير" أو "أكادير"، كما قد يكون سبب ذكرها بالكاف أي "أكادير" هوشدة تقارب خروج صوت القاف والكاف فلا فرق بين القاف كما ننطق بها، وبين الكاف إلاّ في أن القاف أعمق قليلاً في مخرجها[42]. وكُتب تارة أخرى بجيم "أجادير" ويعلل عبد العزيز فيلالي هذا بأنّ بعض سكان مدينة تلمسان كانوا ينطقونه بين الجيم والقاف وهي لغة العرب[43]. وهنا يأتي دور اللهجات في تغيير الأسماء إلى الخطأ.

فقد تعددت الكتابات بقدر ما تعددت المعاني من قبل المؤرخين العرب والمستشرقين، وقد تعود هذه التغيرات التي طرأت على اللفظ إلى تأثر السكان بالحقبة التاريخية التي مرت بها هذه المنطقة، والظاهر أن اسم " أڤادير " و"أقادير" و"أجادير"و"أكادير" يتضمن معنى واحداً مع اختلاف في نطق الحرف الثاني من الكلمة.

وقد وُظف هذا الاسم من قبل واستعمله الشعراء منهم : قول الإمام أبي عبد الله محمد ابن مرزوق الحفيد العجيسى يتشوق إليها:

بَلَدُ الْجـــــدَار مَا أَمَرَّ نَوَاهَا كَلَفَ الْفُؤَادُ بِحُبِّهَا وَهَوَاهَا

يَا عَاذِلِي فِي حُبِهَا كُنْ عَاذِرِي يَكْفِيكَ مِنْها مَاؤُهَا وَهَوَاهَا [44]

وكقول الشاعر الشعبي ابن مسايب في القرن الحادي عشر في مطلع قصيدة يندب بها ما أصاب تلمسان من الخراب:

رَبِّي قْضَى عْلِيهَا وَالْوَقْتَ ادْعَاهَا فَى السَّابَقَ الْمْقَدَّرْ كَانَ اللِّي كَانْ

سْوَابَعَ السْعُودْ دَارَتْ الاَيَّامَ مْعَهَا تْنَكَّسَ الزّْمَانْ عْلِيهَا وَاشْيــَانْ

عَدْمَتْ وَاكْ فَسْدَتْ وَالظُّلْمْ اخْلاَهَا مْدِينَةَ الْجدَارْ بْلَدْ تْلَمـــْــسَانْ[45]

أما أبي بارجيس فأتى بلفظ الغدير بوصفه اسماً آخر للمنطقة مستشهداً على زعمه ببيت ورد في قصيدة لابن خميس، ساقها يحي بن خلدون في بغية الرواد(46)، ولكن عبد الوهاب بن منصور ينقده بقوله إن هذه الملاحظة الباردة من مستعرب القساوسة تنبئ عن قصوره وسوء فهمه للشعر العربي، فإن الغدير الوارد في قصيدة ابن خميس هو غدير الماء المعروف الواقع في مترل شلالات الوريط غير بعيد عن تلمسان من جهة الشرق(47) كما يتبين ذلك في الأبيات:

نَسِيتُ وَمَا أَنْسَى الوَرِيطَ وَوَقْفَةً أَنَافِحُ فِيهَا رَوْضَـــهُ وأفَاوِح
مُطِلاًّ عَلَى ذَاكَ الغَدِيرِ وَقَدْ بَدَتْ لإِنْسَانِ عَيْنِي مِنْ صَفَاهِ طَفَائِحُ
أَمَاؤُكَ أَمْ دَمعِي عَشِيَّة صَدــقَتَ عُلَيَّةُ مَا قَالَ العَذُولُ المُكَاشِحُ(48)

ومن هنا، نستخلص أن كل هذه الأشكال التي وردت عند المؤرخين ما هي إلاّ شكل واحد وكان لها تقريباً المدلول نفسه مع اختلاف بسيط، و هذا راجع طبعاً لاختلاف النطق بين المؤرخين كما قد ترجع لأسباب أخرى. واستبدال بعض الأصوات بأصوات أخرى ما هي إلاّ تغيرات نطقية لصوت واحد. وتبقى تغيرات الصوت الثاني من اللفظ غير عمدية.

2- تاقرارت:

عند قدوم المرابطين سنة تسع وسبعين وألف (1079) إلى تلمسان، أقام القائد المرابطي "يوسف بن تاشفين" معسكره غرباً (49)، على هضبة مرتفعة نوعاً ما بهدف الحراسة المستمرة(50)، بالنجد الذي توّجت أغادير طرفه الشرقي، وعند سقوط أغادير، وبعد قتل الوالي والمدافعين الزناتيين، بقي معسكر المحاصرين مركز إقامة عسكرية، ومحرساً للجيش الظافر الذي كان له التحكم في البلاد(51). وفي الموقع نفسه الذي بنى فيه حصنه في اثنين وستين وأربعمائة (462هـ)، بنى مدينة ومن هنا، جاءت تسمية تاقرارات التي تعني حصناً في اللغة الزناتية(52) أو المعسكر(53). والظاهر أنّ فقد الجيم البدوية من الهجاء العربي كانت سبباً آخر في اختلاف كتابة لفظ تاقرارات التي وردت عند المؤرخين العرب والمستشرقين، فتعدّدت أشكالها باختلاف الحرف الثاني من الكلمة ولم تثبت على لفظ واحد فوردت عند ابن خلدون بالكاف أي تاكرارت التي تعني كما ذكر "المحلّة" باللغة

البربرية[54]؛ أما يحي بن خلدون ففي grammaire et dictionnaire de la langue berbère يرى أن تغرارت ليست إلاّ شكلاً مختلف للفظ تاجررت وتعني "المتاع"[55]، ونجدها عنده مرة أخرى بجيم أي تاجررت ويقول إنه اسم المحلّة في لغة زناتة[56]، ووردت بقاف أي تاقرارت في بعض المصادر من بينها مراصيد الإطلاع وذُكر أنها تعني الحصن بالبربرية[57]؛ أي المعنى نفسه الذي أتى به عبد الرحمن بن خلدون مع اختلاف في الحرف الثاني، ونجدها في أحد المخطوطات بجيم بثلاث نقاط أي تاجررت[58]. فعلى قدر ما كان الاختلاف في الكتابة بسيطاً، كان الاختلاف في المعاني بسيطاً، فلا يوجد فرق كبير بين المحلّة والمعسكر والحصن، فالمعاني تكاد تقترب، وكما سبق أن ذكرت عند الحديث عن أقادير، هذه الأشكال المختلفة للفظ ليست إلاّ شكلاً واحداً والتغيرات التي طرأت عليه ترجع إلى أسباب اجتماعية أو ثقافية أو أسباب نجهلها. ومن اهتمامات المرابطين كان ضمان حماية هذا المعسكر الدائم وذلك ببناء سور[59] يفصل بين المنطقتين أي بين أقادير وتاقرارات ثم بعد مدة من الزمن، أزيل هذا السور وانضمت تاقرارات إلى أقادير وتكونت منهما مدينة واحدة هي مدينة تلمسان الحالية (1082)[60].

3- تلمسان:

لقد كانت تلمسان منذ عهد قديم مدينة جذابة للأنظار بجمالها وفتانة للقلوب بمحاسنها، وبهذه المدينة جبال خضراء ذات خمائل نضرة وبين سهول زبر جدية تتخللها المياه الجارية، لها طقس جميل وهواء معتدل وترتفع ستة وثمانمائة متر (806) عن سطح البحر[61].

تقع حيث الطول أربع عشرة درجة وأربعون دقيقة والعرض ثلاث وثلاثون درجة واثنتان وأربعون دقيقة[62]، على سفح صخر لالا ستي (1,046 متر) في الجنوب[63]. وهي"مدينة عريقة في التمدن لدنة الهواء عذبة الماء، كريمة المنبت، اقتعدت بسفح جبل، عروسا فوق منصة، والشماريخ مشرفة عليها إشراف التاج على الجبين"[64].

هي مؤتلفة من مدينتين متجاورتين مسورتين إحداهما قديمة كان يسكنها الرعية واسمها أقادير والأخرى حديثة، فيها كان يسكن الجند وأصحاب السلطان

وأصناف من الناس، واسمها تافرزت[65]، أصبحتا تلمسان الحالية بعدما أزيل السور وذلك ما ذكره الإدريسي في قوله: "وتلمسان أزلية ولها سور حصين متقن الوثاقة وهي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور"[66]. هي قاعدة المغرب ودار مملكة زناتة ومحل العلماء والصلحاء وذكرها أحدهم فقال: دار ملك قديمة البناء طيبة الهواء، كثيرة الفواكه والزرع، ذات عيون غزيرة وأعمال متعددة، باردة المشتى لكثرة ثلجها وأهلها موسومون بالخير من قبائل حاوزها"[67]، وقد خصّها البكري[68]، وابن خلدون[69] بلقب "قاعدة المغرب الأوسط". ولم يذكر التاريخ مؤسسها وكل ما يقال أنها كانت مدينة صغيرة بدأت تمتد اثر تخريب أرشكول، وخصوصاً بعد طرد جنود المنصور (بن أبي عامر) من المنطقة. وقد توسعت أيام بني عبد الواد حتى أصبح فيها ستة عشر ألف وبلغت حقاً درجة عالية من الازدهار[70]. ولعلّ هذا راجع لقلة المصادر وانعدام المادة الخبرية، وندرتها، وعدم اكتشاف النقوش، وقلة الأبحاث والتقنيات في بقايا الحفريات.

واستحقت لموقعها المناسب اسم باب الغرب الذي أطلقه عليها العرب في القديم[71]، وقد ادعى العرب أنّ "يوسف بن تاشفين"، أول ملوك المرابطين هو الذي أطلق عليها اسم تلمسان، حين جعلها هدفاً لإحدى حملاته، حيث يرى فالزير يسترهازي (Esterhazy Walsir) أنّ كلمة تلمسان تدعى "الهدف" بلغة الشلحة[72].

لكن ما لاحظناه هو وجود اختلاف في الروايات والأقوال والأوصاف بين الجغرافيين في حركات اللفظ أو تغير بعض حروفه مع اختلاف المعاني فوردت تِلِمْسان بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة[73]، وعند يحي ابن خلدون تسمى بلغة البربر تلمسن، كلمة مركبة من (تلم)، ومعناه تجمع و(سن) ومعناه اثنان أي الصحراء والتل. ويقال تلشان، وهو أيضاً مركب من (تل) ومعناه لها، و(شان) أي لها شأن[74]. ويذهب عبد الرحمن ابن خلدون إلى أن تلمسان يفهم منه البر والبحر غير أنه يرى أن الكلمة مركبة من (تلم) و(سين)[75] ؛ أما بلوڤغان (Pellegrin) فيقول أن ما أتى به ابن خلدون مرفوض وأن كلمة تلمسان تعود إلى الألفاظ البربرية المتكلم بها في الهڤار، من بينها أَلْمس، تَلْمَسْت، و جمعها تِلْمَسِين،

وتكونت منها تَلْمَسْت أي مورد ماء، تَلْمَسْت أي جبل وتِلَمْسِين أي واد ومن الراجح أنّ نقرب كلمة تلمسان من هذه الألفاظ التي يقرب معناها من المعاني السابقة[76].

أما عبد الوهاب بن منصور يرى أنه إذا عدنا إلى البحث العلمي الصرف نجد أن لفظ تلمسان مشتق من الكلمة الأمازيغية تيلموس أو تيلماس وكلا اللفظين يجمع على تيلميسان وتيليماسين، ومعناها العيون أو نقط الماء[77] أو العيون الغزيرة بالبربرية[78]. ويقول آخرون إنَّ تيلماس أي لفظ الجمع لكلمة تلمسان موجود في لهجة زيان في المغرب الأوسط واللهجة البربرية المتكلم بها بتيميمون (قورارا)[79]، ومنهم من رأى أنّ تلمسان من اللفظ البربري "تَلَمْسان" بفتحتين وسكون الميم باندماج اللفظين "تَلا"، و"إمسان"، وتعني عيناً ناضبة حيث تحولت الأولى إلى"تيلي" وحذفت الهمزة من الجزء الثاني من اللفظ فأصبحت تلمسان[80]. أما رمضان شاوش فيرى أنّ كل هذا تأويل بعيد والصحيح أنها لفظة زناتية وأنّ أصلها ثلمسين جمع ثلمت بمعنى عين أي ينبوع الماء الذي تحيط به أشجار، وهذا المعنى يطابق المسمى كل المطابقة لما يوجد بتلمسان وضواحيها من العيون المتعددة التي قلّما تخلو أمكنتها من أشجار تكتنفها وتنشر عليها ظلها الوارف[81].

وهناك قول يؤكد أنّ الكلمة عربية، مركبة من "تلم" و"إنسان" حُذف منها الهمزة والنون اختصاراً فأصبحت "تلم'سان" بالنطق الحالي تعني موضع إلتقاء أو تجمع الناس ويرجع سبب التسمية إلى موضعها المركزي الذي كان يمر به النازحون والمهاجرون[82] ، وأيضاً القادم من الواحات الصحراوية والبلاد السودانية لابدّ له كذلك من المرور عليها وحط الرحال بها، فهذا الموقع الممتاز جعل منها مركزاً مهمّاً للحرب والتجارة والسياحة. بين الشرق والغرب، وبين الشمال والجنوب[83]. وبعضهم يقول تنمسان بالنون عوض اللام بالمغرب[84]، مثلما ذكرها ابن حوقل[85]، أو تنينسان وفقاً لمؤلف مراصيد الاطلاع[86].

وربما يعود سبب هذه الاختلافات إلى عدم الدقة في النقل عن المصادر الأساسية، فالبعض قد يكون حالفهم الحظ في النقل والبعض الآخر لم يُوفق. أمّا

السبب الرئيسي فيرجع إلى التغيرات التي تطرأ على المدينة بين الفترات التي تفصل بين مؤرخ ومؤرخ بسبب الغزو والقلاقل الاجتماعية.

وقد وردت بعض الاختلافات عند المستشرقين في الكتابة الناتجة عن اختلاف في اللغات "فينطق الفرنجة بلفظ تلمسان كما تنطق به نحن العرب ولكنهم يختلفون اختلافاً بسيطاً في كتابته، فالفرنسيون يكتبون تلمسان **Tlemcen** بالحرف **c** والإنجليز السكونيين والجرمان يضعون الحرف **s** عوضاً عن الحرف **c**. والإسبان يقلبون اللام راءً فيقولون ترمسان ويكتبون **Tremcen** ولعلّ هذا القلب شائع عندهم فإنهم يقلبون لام الجزائر العاصمة فيقولون أرخيل ويكتبون **Argel** وكذلك لام الجزائر القطر فيقولون أرخيليا ويكتبون **Argelia** خلاف سائر الأوربيين"[87]. وقد يقلب البعض من المؤرخين المستشرقين الكلمة قلباً مفرطاً فقد أخذت أكثر من رسم فالجغرافي سترابون(**Strabon**)كتبها **théolimen**[88]، وعند لاتيو (**lathielleux**) وردت على شكل **tremisen** [89] وكُتبت بلفظ **tremecen** **tremezen** [90]

وثمّة أسماء أخرى كثيرة أُطلقت على هذه المنطقة، كان يستعملها الأدباء والعلماء في أشعارهم وكتبهم مثل: جوهرة المغرب، باب الغرب، غرناطة الإفريقية، عاصمة حب الملوك[91]، ورياض الكبير، وكدية العشاق، ورياض ماخوخ، وغرس الباي، والمونيا[92].

كما يسمي التلمسانيون المدينة "مدينة السبع جدران"[93]، حيث كان يردد الحضريون مقولة: "و بتلمسان سبعة جدران وسبعة أسوار ولا ينام سكانها نهاراً ولا ليلاً "، وذلك لأنّها كانت تعبر عن التهديد المتواصل الذي ضغط على عاصمة المغرب الأوسط والضيق الشديد الذي كانت تدفعه مقابل المحافظة على عزتها. ويبدو أن نوعاً من القضاء أراد أن تخضع المدينة لضربات عدو جديدة مرة على الأقل كل قرن. والخطر الملح إلحاحاً كبيراً والضربات القصوى والقلق الأكثر نكداً كان مصدرها المرينيون، جيران السلالة القائمون غرباً[94].

كانت هذه هي تلمسان موطن التاريخ، ومرتع الأحداث السياسية، مرت على أرضها قوافل عديدة وشخصيات كثيرة، وبقيت تلمسان حاضر الأمة الجزائرية ومكمن فخرها بتراثها وأسمائها وأماكنها.

الهوامش

(1) عبد العزيز فيلالي، تلمسان في عهد الزيانين موفم للنشر، ج 1، الجزائر 2001، ص 87-88

(2) محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ديوان المطبوعات الجامعية، ج 1 الجزائر 1999، ص 232 -233

(3) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 14

(4) محمد البشير شنيتي، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ص 231-232

(5) الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1995، ص 51

(6) محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص08

(7) عبد الوهاب بن منصور، تلمسان تحليل لغوي و تاريخي للأسماء التي دعيت بها حاضرة المغرب الأوسط، مطبعة ابن خلدون، تلمسان 1365 ص09

(8) محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص09

(9) عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ص 88

(10) Henri Goelzer, Dictionnaire de latin , édition Garnier Frères, France Juin 2000, p 496

(11) IBID P 709

(12) عبد الوهاب بن منصور، تلمسان، ص 10

(13) محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص 07

(14) région, Office de tourisme de Tlemcen, imprimerie de Ibn Khaldoun, 1994, p 18

(15) جورج مارسي، مدن الفن الشهيرة، ترجمة سعيد دحماني، دار النشر التل، البليدة، الجزائر 2004 ص 07

(16) المرجع نفسه، ص 07.

(17) بعد ترجمة ماك كارتي من الرومانية إلى الفرنسية

(Mac Carty, Revue Africaine vol 1 p 94)

(18) Mac Carty,Revue Africaine, Kraus Reprint, vol 1, 1968, p 93-94

(19) 19- IBID p 95

(20) IBID p94

(21) IBID p95

(22) IBID p111 (En marge de la page)

(23) هاينريش فون مالستان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج2، الجزائر 1979، ص 53

(24) 24 Mac Carty, Revue Africaine, vol 1, p 95

(25) IBID P 95

(26) IBID p 108

(27) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 05

(28) Atoui Brahim, toponymie et espace en Algérie, p 50

(29) كتاب الجزائر، ص 17-18

(30) الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، ص 53

(31) جورج مارسي، مدن الفن الشهيرة، ص 07

(32) 32 Alfred bell , Tlemcen et ses environs, A.Thiriat et C ie, seconde edition, Toulouse, p08

(33) يحي بوعزيز، الجزائر القديمة والوسيطة، ديوان المطبوعات الجامعية، ج1، 1999، ص 211

(34) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 202

(35) عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ص91-92

(36) Alfred bell , Tlemcen et ses environs, p 10

(37) عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ص 89

(38) Alfred bell, Tlemcen et ses environs, p 08

(39) محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور، ص 09

(40) الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، ص 49

(41) M.Alengrin , Tlemcen et sa région, imprimerie régional, Tlemcen 1941, p 11

(42) إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الإنجلو المصرية، ط3، 1999، ص 75

(43) عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، ص 92

(44) المرجع السابق، ص 03–04

(45) ديوان ابن مسايب، نشر بخوش محمد، مطبعة ابن خلدون، تلمسان 1370، ص 47

(46) **Abbé Barges, Souvenir d'un voyage a Tlemcen, imprimerie orientale de Nicolas, Paris 1859, p 152**

(47) 47– عبد الوهاب بن منصور، تلمسان، ص08

(48) يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق د.عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، ج1، الجزائر 1980، ص 87

(49) جورج مارسي، مدن الفن الشهيرة، ص 19

(50) **M.Alengrin, Tlemcen et sa région, p 12**

(51) مدن الفن الشهيرة، ص19

(52) **Abbé Barges, Souvenir d'un voyage à Tlemcen، p 182**

(53) **Djilali Sari, Guide touristique de Tlemcen et sa région, p 102**

(54) ابن خلدون، كتاب العبر، المجلد السابع، ص 94

(55) **Abbé Barges, Souvenir d'un voyage à Tlemcen، p 182 في الهامش**

(56) يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ص 91

(57) **M.Alengrin , Tlemcen et sa région, p 12**

(58) **Souvenir d'un voyage à Tlemcen، p 182**

(59) جورج مارسي، مدن الفن الشهيرة، ص19

(60) **M.Alengrin, Tlemcen et sa région, p 12**

(61) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، ص 202

(62) إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص 136

(63) **Louis Piesse, Itinéraire de l'Algérie et de Tunisie et de Tanger, p 219 .**

(64) يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ص 86

(65) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر للطباعة والنشر، المجلد الثاني، بيروت، ص 44

(66) الإدريسي، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق محمد حاج صادق، نشر O.P.U، 1983، ص 100

(67) يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، ص90

(68) أبو عبيد الله البكري، كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، نشر -Arien Maisonneuve، باريس 1965، ص76

(69) ابن خلدون، كتاب العبر، المجلد السابع، ص 156

(70) حسن بن محمد الوزان الغابي، وصف افريقيا، ترجمة من الفرنسية محمد حجي– محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت 1983، ص 18

(71) هاينريش فون مالستان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ص 47

(72) المرجع نفسه، ص 53–54

(73) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ص 44

(74) يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ص 85

(75) ابن خلدون، كتاب العبر، المجلد السابع، ص 157

(76) A.Pellegrin, Essai sur les noms de lieux d'Algérie et de Tunisie, p 75

(77) عبد الوهاب بن منصور، تلمسان ص 16

(78) Robert Tinthoin, Les amis du vieux Tlemcen, bulletin de la société, 1956, p 39

(79) Djilali Sari, Guide touristique de Tlemcen et sa région, p 26

(80) G:/ tlemcen_ wikipédia. htm

(81) الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان، ص 49

(82) F:\Tlemcen ville d'Algérie.htm

(83) الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان ، ص 29

(84) ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، ص 44

(85) إسماعيل العربي، المدن المغربية، ص 134

(86) - Abbé Barges, Souvenir d'un voyage àTlemcen، p 151

في الهامش

(87) عبد الوهاب بن منصور، تلمسان ص 14

(88) P.Y-Lathielleux, Le littoral de l'oranie occidentale, p 56

(89) IBID p190

(90) **Don Josef Aramburu, Oran et l'ouest algérien, traduction Mohamed El Korso et Mikel de Epalza, bibliothèque national, Alger 1978, p 49–50**

(91) عبد الوهاب بن منصور، تلمسان ص 18

(92) **Djilali Sari, Guide touristique de Tlemcen et sa région, p 15**

(93) **Alfred bell , Tlemcen et ses environs, p 50**

(94) جورج مارسي، مدن الفن الشهيرة، ص 56 .